

نَصْحُجْ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِينَ « ٢ »

تَطْهِيرُ سِرِّ الْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ

عَنْ دَرَنِ الشَّرْكِ وَالْكَفَرِ

تصنيف

السَّيِّحُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ آلِ بَرْطَايَ آلِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّافِعِيِّ

تحقيق وتعليق

أَسْرَفُ عَبْدِ الْفُصُولِ عَبْدِ الرَّحِيمِ

مُنَشُّورٌ فِي كِتَابَةِ السَّنَةِ ١٤٢٠ هـ فِي الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

جميع الحقوق محفوظة للنائز

مكتبة السنة بالقاهرة



مكتبة السنة
الناشر: الناشر

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ، ناصية شارع الجمهورية ،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلکس : ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدي : ١١٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣]
والصلاة والسلام على أفضل داع إلى التوحيد سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد : فلا يخفى أن علم التوحيد هو أفضل العلوم على الإطلاق ؛ إذ هو الذى من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب ، وأنه خلاصة دعوة الأنبياء وزبدة رسالة المرسلين .

هذا وقد كنت كتبت - فيما سلف - رسالة وجيزة وسميتها « تطهير الجنان عن درن الشرك والكفران » ، وهى على صغر حجمها قد حوت أنواع التوحيد الثلاثة ، وبرهنت بالأدلة النقلية والعقلية على تأييد محتوياتها ، كما احتوت على دحض الشبهات التى يوردها المبتدعون ، وقد طبعت - ولله الحمد - مرات عديدة فى قطر وفى الكويت وفى مصر ، وحصل عليها ولله الحمد إقبال من القراء ، ولما نفذت الطبعات السابقة رغب فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري فى إعادة طبعها ، وهو من أكبر الدعاة إلى دين الله وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم ، وقد كثف جهوده - جزاه الله خيراً - على نشر العلم بمختلف

طرقه ؛ من إرشاد ووعظ وتأليف ونشر الكتب العلمية من مختلف العلوم وتوزيعها على المستحقين وإرسالها إلى كثير من الأمصار لأهل العلم والكتليات والجامعات والمدارس ، فله في هذا المجال الباع الطويل ، ويرجع الفضل أولاً لله - سبحانه وتعالى - ثم إلى سمو أمير البلاد - حفظه الله - الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، فإنه يبذل في هذا السبيل الأموال الطائلة .

فوافقت على هذا المرام لنفع الخاص والعام ، راجياً المثوبة من رب العالمين في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وما زدت فيها على الطباعات السابقة إلا في موضعين :

الأول : نواقض الإسلام بعد أن ذكرت شروط لا إله إلا الله .
 الثاني : تعليق على حياة الأنبياء والشهداء وتفنيده شبه المحتجين على سماع الأموات وتصرفاتهم بعد الممات .
 والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

١٤٠٢/١١/١٢ هـ

المؤلف

أحمد بن حجر بوطاسي آل ابن علي

قاضى المحكمة الشرعية الأولى بدولة قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وبعد :

فهذا هو الكتاب الثاني في سلسلتنا المباركة ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد : ١٩] نقدمه لإخواننا الكرام بعد أن صدر الكتاب الأول : « الأصول الثلاثة وأدلتها » لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . والجديد في هذه الطبعة هو ما قمنا به من بيان لدرجة الأحاديث وبيان تخريجها بأسلوب يسير من غير تقصير ولا تطويل ، وكذا وضعنا تخريج الآيات في مواضعها وبجوار الآية .

والذى ننصح به إخواننا الكرام هو أن يجتهدوا فى تعلم التوحيد وفى تحقيقه ، فإنه لا ينجى من عذاب الله إلا إياه .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : « إخوانى ! اجتهدوا اليوم فى تحقيق التوحيد ، فإنه لا ينجى من عذاب الله

إلا إياه ، ما نطق الناطقون إذ نطقوا أحسن من : لا إله إلا الله »
أ.هـ. (*) .

والله تعالى نسأل أن يَمُنَّ علينا بتحقيق التوحيد علماً
واعتقاداً وعملاً وحالاً ، ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك
مجرد حكايته .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ﷺ وعلى
آله وأصحابه والتابعين وسلم تسليماً .
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأَتُوبُ إليك .

الإسماعيلية ٣ من شهر رجب ١٤٠٨ هـ

أشرف عبد المقصود عبد الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذى أمرنا بالعبادة ، وبطاعته وطاعة رسوله ،
ووعدنا بالحسنى مع الزيادة ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد ، البالغ منتهى الشرف والسيادة ، وعلى آله وأصحابه
الذين منحهم الله العزة والسعادة .

أما بعد :

فلا زال الإسلام منذ أن طلع فجره مُحارَبًا . حورب من
قريش وسائر مشركى العرب ، ومن اليهود والفرس والروم والتتر
والصليبيين ، وكتب الله النصر المؤزّر للإسلام والمسلمين ،
وأذل الله المشركين والكافرين . ولكن الأعداء - وإن خذلهم
الله - ما فتئوا يحيكون المؤامرات والدسائس ، ويثنون دعاياتهم
الضالة ضد الإسلام والمسلمين ، فتعددت مقالاتهم ، وتنوعت
مذاهبهم ، وانتسب كثير منهم إلى الإسلام ، لأجل أن تروج
عقائدهم ويتم لهم القضاء على الإسلام - لا سمح الله -
ومن أشدها فتكًا ، وأخبثها دعاية ، وأكثرها رواجًا : دعاية
المُخرفين والقبوريين والصوفية المبطلين^(١) الذين لم يدخروا وسعًا

(١) لا المحقين ؛ لأن الصوفية قسمان : قسم محقون ، وهم الذين تقيدوا
بالكتاب والسنة ، ولم يتجاوزوهما ، وكل ما فى الأمر أنهم غلبوا جانب =

فى نشر البدع والضلالات باسم الدين ، والدين منها بريء .
كما دعوا إلى عبادة القبور وحسنوها للجماهير بشتى الأساليب ،
من بناء القباب الشاهقة عليهم وتزيينها ؛ ووضع الستور النفيسة
عليها لجذب الناظرين والزائرين إليها ، وأن تكون تلك القباب
محل الدهشة والإعجاب ، وجعلوا السدنة حولها ليطوفوا
بالزائرين حول الضريح ويعلموهم كيف يدعون الأولياء وينزلون
بهم حاجاتهم !

ومن اختراع حكايات سمجة عن القبور ، وكرامات مختلفة
لا تمت إلى الصحة بنصيب ، ومن إنشاء قصائد تطفح
بالاستغاثات والنداءات التى لا تصلح إلا لخالق الأرض
والسموات !

ومن تأليف كتب تدعو إلى عبادة الأنبياء والصالحين

= الآخرة على الدنيا ، كالجيلانى والجنيد وسهل التستري وأمثالهم .
وصوفية مبطلون : وهم الذين يخالفون الكتاب والسنة ، ويتعدون حدودهما ،
ويأتون بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، وبأعمال مخترعة يبرأ الكتاب والسنة
المطهرة منها ، كاعتقادهم بوحدة الوجود ، واختراعهم أذكارا واحتفالات
يمتزج فيها الذكر بالرقص ، ويختلط فيها الرجال والنساء ، وتدق فيها الطبول
وتنشر فيها الأعلام ، ويأتون بمخاريق كضرب أنفسهم بالسكين والخنجر وأكل
النار ! اللهم اهد عبادك إلى الصراط المستقيم .

سُبِكَتْ فِي قَالِبِ حُبِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَأَنْهُمْ هُمُ الشُّفَعَاءُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ تَعَالَى ، وَيُعَزِّزُونَ كَلَامَهُمْ بِحِكَايَاتٍ عَنِ الصَّالِحِينَ لَيْسَ لَهَا حِظٌّ مِنَ الصَّدَقِ ، وَأُحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ كَحَدِيثِ (*) : « لَوْ اعْتَقَدْتُمْ بِحَجَرٍ لَنَفَعَكُمْ » (١) ، وَيَأْقِيسَةً فَاسِدَةً وَبِمَا لَا يَدُلُّ عَلَى مَطْلِبِهِمْ مِنْ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ كَمَا سَتَرَى فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ .

وَعَمَّ هَذَا الدَّاءُ الْوَيْلَ سَائِرَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا التَّوْحِيدَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ ، وَبَعْضُ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ كَالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ؛ بِفَضْلِ دَعْوَةِ عُلَمَائِهَا الْمُخْلِصِينَ وَمُلُوكِهَا الْمُهْتَدِينَ

فَنَتَجَّ مِنْ جَرَاءِ تِلْكَ الدَّعَايَاتِ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ الَّتِي قَامَ بِهَا وَنَشَطَ لَهَا الْمُبْشِرُونَ بِالضَّلَالِ وَعِبَادَةُ غَيْرِ ذِي الْجَلَالِ أَنْ انْخَدَعَ

(*) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي الْمَنَارِ الْمُنِيفِ فِي الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ ص (١٣٩) : « هُوَ مِنْ وَضْعِ الْمُشْرِكِينَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ » .

(١) هَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي الْوُثْنَةِ الْمُخْضَةِ ، يَنَادِي عَلَى قَاتِلِهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمِنَ الدَّعَاةِ إِلَى عِبَادَةِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ! فَكَيْفَ يَرُوجُ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَسٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ !

بها الأكثرون ، وانصرفوا عن توحيد الإله العظيم خالق الأنام ،
وتحمسوا لها ، وأخذوا يتقربون إلى قبور الأنبياء والصالحين ،
وتجاوز الأمر حتى تقربوا إلى الأشجار والغيران المنسوبة إليهم
بأنواع النذور ، ودعائهم لكشف ضرر نزل بهم ، أو طلب ولد أو
رزق أو وظيفة أو مطر ، مما ليس في قدرة أحد إلا رب العالمين !
وطافوا بقبورهم كما يطاف بالكعبة المعظمة ، وشدوا الرحال
إليهم من الأماكن الشاسعة بقصد الحج لتلك المزارات البدعية ،
وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة المقدسة عندهم ،
حتى أنه قد تجتمع في خزائن بعض المقبورين أموال تعد
بالملايين !

ورحم الله شاعر النيل « حافظ إبراهيم » حيث قال :

أَحْيَاؤُنَا لَا يَرْزُقُونُ بَدْرَهُمْ وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تَرْزُقُ الْأَمْوَاتِ
مَنْ لِي يَحْظَ النَّائِمِينَ بِحَفْرِه قَامَتْ عَلَى أَعْتَابِهَا الصَّلَوَاتِ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا وَيَجْرِي حَوْلَهَا بَحْرُ النُّذُورِ وَتُقْرَأُ الْآيَاتِ
وَيُقَالُ هَذَا الْبَابُ بَابُ الْمُصْطَفَى وَوَسِيلَةُ تَقْضَى بِهَا الْحَاجَاتِ

وإنك لتجد الزحام حول تلك القبور واختلاط الرجال بالنساء
وبكاء الكثيرين وصراخهم وعويلهم ودوي أدعيتهم .

كما تجد كثيراً من مدّعي العلم ومروجي الضلال يحسنون لهم تلك الأعمال ويحضونهم على تلك المنكرات من أجل نيل الحطام ، ويأتي أولئك الجهال هذه الشراكيات ، والبدع والضلال ، باعتقاد أنها من صميم الدين ، وأنها تقرّبهم إلى رب العالمين ، لكونهم مخدوعين بدعايات أدعياء العلم ورؤساء الضلال وسدنة الضرائح . والويل كل الويل لمن أنكر عليهم وأفادهم أن هذه الأعمال ليست من الدين بشيء ، بل تنافيه ، والدين منها بريء ، وأن الواجب عليكم أن تفردوا ربكم بهذه العبادات التي تتقربون بها إلى هؤلاء الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً فضلاً عن غيرهم .

والعلماء إزاء هذه البدع والشراكيات أصناف ثلاثة :

- صنف يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد يكتب وينشر في تأييد مذهبه ، لا سيما إذا كانت له مصلحة مادية .

- وصنف يعرف الحق ، وأن ما عليه جمهور الناس باطل وضلال ، لكنه يساير العامة وأشباههم ، إما رجاء ، وإما رهبة أو جبنًا !

- وصنف ينكر ذلك ويدعو الناس إلى ترك تلك المحدثات ويرشدهم إلى التوحيد والتمسك بالسنة المطهرة . وهؤلاء قليلون بالنسبة لدينك الصنفين .

وبالرغم من كثرة المؤلفات في هذا العصر^(١) ، من الممالك العربية وغيرها ، وتنوّر أذهان الكثيرين ، لكنهم لم يهتموا بعلم التوحيد ، لاسيما توحيد الألوهية . وقد يذكر بعضهم في ثنايا كتابه سطرًا أو سطورًا يستهجن هذه الأعمال ويقول : ليست من الإسلام في شيء ، ولكن هذا غير كاف .

ولذا رأيت أن الحاجة ماسة في وضع رسالة في بيان أقسام التوحيد ، وبسط الكلام على توحيد الألوهية ، معززًا بالأدلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم الصحيحة أو الحسنة ، ودفع شبه المبتدعة ، لعل الله ينفع بها عباده .

ولكن لكثرة الشواغل لم يقو العزم ، حتى شرفنا الشيخ عبد الحميد البكري السيلاني ، الداعية لتوحيد الله وإفراده بالعبادة ، والتمسك بسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، والمحارب للبدع والمحدثات والزيادة في دين الإسلام .

(١) كتب علماء الدعوة النجدية رسائل عديدة في بيان التوحيد والشرك ، كما كتب الشيخ الصنعاني ، والشيخ صديق حسن خان ونفع الله بها ، ولكن لم أجدها بالنحو الذي رأيته وكتبته .

وقد ذكر لنا الأخ المذكور أنه يلاقي كثيراً من العناء والنصب في سيلان من الذين يدعوههم إلى نبذ الخرافات والبدع وعبادة غير الله ، وطلب مني أن أسجل له كلمة في التوحيد ، فسجلت له بالمسجل الذي معه .

فلما انتهيت من الإلقاء قال الشيخ عبد الحميد : يحسن أن تكتب هذا الذي ألقيته ، ليكون كرسالة ، ثم تطبعها وتنشرها ، وعليّ بحول الله وقوته أن أترجمها إلى اللغة السيلانية والمليبارية . وقد ترجمها إلى اللغة المليبارية أخونا الفاضل محمد سليم ميران المليباري وطبعت .

فأجبت به إلى ذلك ؛ رجاء الثواب من الملك العلام ، والنفع لساائر الأنام . فكتبت الموضوع وراجعته وهذّبتة ، وزدت عليه بعض الفوائد ، وعلقت عليه تعاليق موجزة ، وأصبح رسالة مفيدة ، حاوية لأقسام التوحيد ، مؤيدة بالأدلة من القرآن والسنة والأحاديث النبوية ، ودفع الشبهات البدعية ، وسميتها : « تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران » .

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وموجباً للفوز بجنات النعيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أحمد بن حجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :
فقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .
أي لآمرهم أن يعبدوني ويفردوني بالعبادة . وهذا هو
التوحيد^(١) الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام -
من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد ﷺ .

* * *

(١) التوحيد : مصدر وحد يُوحَد . وهو لغة : العلم بأن الشيء واحد ،
واصطلاحاً : علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية ، مكتسب من أدلتها
النقلية والعقلية . وشرعاً : إفراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته والتصديق بها
ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

اقسام التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

١ - توحيد الربوبية :

وهو اعتقاد أن الله - سبحانه وتعالى - خالق العباد ورازقهم ، محييهم ومميتهم .

أو نقول : إفراد الله بأفعاله ، مثل اعتقاد أنه خالق و رازق .
وهذا قد أقرّ به المشركون السالفون ، وجميع أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس .
ولم ينكر هذا التوحيد إلا الدهرية فيما سلف ، والشيوعية في زماننا .

الدليل على توحيد الربوبية :

يقال لهؤلاء الجهلاء المنكرين للرب الكريم : إنه لا يقبل ذو عقل أن يكون أثر بلا مؤثر ، وفعل بلا فاعل ، وخلق بلا خالق .
ومما لا خلاف فيه أنك إذا رأيت إبرة أيقنت أن لها صانعاً ،

فكيف بهذا الكون العظيم الذي يهر العقول ويحير الأبواب قد وجد بلا موجد ونظم بلا منظم !؟ وكأن كل ما فيه من نجوم وغيوم ، وبروق ورعود ، وقفار وبحار ، وليل ونهار ، وظلمات وأنوار ، وأشجار وأزهار ، وحن وإنس ، وملك وحيوان ، إلى أنواع لا يحصيها العد ، ولا يأتي عليها الحصر ، قد وجدت بلا موجد يخرجها من العدم !

اللهم لا يقول هذا من كان عنده مسكة من العقل ، أو ذرة من فهم .

وبالجملة : فالبراهين على ربوبيته لا يأتي عليها العد ، وصدق الله ، إذ قال : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (١) [الطور : ٣٥] .

(١) تعليق :

وهم بداعة لم يخلقوا من غير شيء ، وطبعاً لم يخلقوا أنفسهم ، ولم يدع أحد منهم ولا ممن قبلهم أو بعدهم أنه خالق السموات والأرض ! فمن الخالق إذن ؟!

وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد ، لا يملك الإنسان إذا ترك نفسه إلا أن يجيب كإجابة المشركين ، كما أخبر الله عنهم في كتابه المجيد :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ عَلَّمَهُنَّ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٩] .

= أما الدهريون والشيوعيون ، ومن تلوخ بأرجاس تعاليمهم ، فإنهم يعتقدون أن وجود الإنسان والكون وما فيه جاء من الطبيعة ، فهي الخالقة ! مع العلم أن الطبيعة التي يؤلهونها هي هذه المخلوقات بما أودع الله فيها من خصائص وصفات ، كالسماء والأرض والشمس والكواكب والبحار والأشجار... إلخ .

فالتبيعة كما ترى لا حياة لها ولا علم ولا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا عقل ؛ فكيف أوجدت الإنسان وهو المتصف بهذه الصفات ؟!

وهل يعقل أن تهب الطبيعة هذه الصفات للإنسان الذي بفضل تلك الصفات غاص أعماق البحار وغزا الفضاء والكواكب والحال أنها مجردة من كل تلك الصفات - ومن المسلم عقلاً أن فاقد الشيء لا يعطيه ؟! فهؤلاء من سخافتهم وجهلهم وعنادهم لأهل الأديان جحدوا ربوبية خالق الكائنات المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن كل نقص ، وذهبوا إلى خالقية الطبيعة الصماء التي لا تحس ولا تعقل !

وأعتقد أن هؤلاء إنكارهم للمخالق لا يتجاوز اللسان ، ولكن عناداً لأهل الأديان ، ولتسنى لهم استعباد الشعوب ، وسلب الإيمان منهم والأموال ، بيت هذا الكفر الصريح والإباحية الفاضحة ، والشيوعية في الأموال والأعراض .

وما يوضح بطلان معتقدتهم ورأيهم أن يقال : إن الطبيعة قد سخرت للإنسان ، فأصبح سيداً على ما في الأرض ، يبنّي ويهدم ويتصرف بأجزائها كيف شاء ، وهي لا تقاوم سيطرته ولا تتمرد عليه ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضراً ، فكيف تكون خالقة ؟! فأدنى صانع من البشر الذي يصنع الإبرة الحقيرة فضلاً عن الأشياء العظيمة - لا بد أن يتصف بالحياة قبل كل شيء ، ثم بالعقل =

وقوله : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
[الزمر : ٦٢] .

الدليل على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية :

قال الله تعالى : ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ،
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان : ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ
يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ
فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى
تُصْرَفُونَ﴾ [يونس : ٣١ ، ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف : ٩] .

= والعلم والقدرة والإرادة ، حتى يتسنى له صنع ما يريد . فلو حاول جاهل مع
اتصافه بالحياة والعقل والإرادة أن يصنع شيئاً لما استطاع ؛ لكونه غير عالم ،
فكيف بالطبيعة التي ليس لها من تلك الصفات شيء ؟ !؟ وصدق الله العظيم :
﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
[لقمان : ٢٠] .

على أن الشرك مأخوذ من الشركة يفيد إقرارهم بالربوبية إلا أنهم يجعلون معه شريكاً في العبادة ، كشركيين في شيء مثلاً ، مع أنهم ما كانوا يساؤون آلهتهم بالله في كل شيء .. بل في المحبة والخضوع ، لا في الخلق والإيجاد والنفع والضرر .

توحيد الربوبية

لا يدخل الإنسان في دين الإسلام

لتعلم أيها القاريء الكريم أن هذا التوحيد لا يدخل الإنسان في دين الإسلام ، ولا يعصم دمه وماله ، ولا ينجيه في الآخرة من النار ، إلا إذا أتى معه بتوحيد الألوهية .

* * *

٢- توحيد الألوهية :

ويقال له توحيد العبادة ، وهو إفراد الله بالعبادة ، لأنه المستحق لأن يعبد ، لا سواه - مهما سمت درجته وعلت منزلته .

وهو التوحيد الذي جاءت به الرسل إلى أممهم ، لأن الرسل - عليهم السلام - جاؤوا بتقرير توحيد الربوبية الذي كانت أممهم تعتقده ، ودعوتهم إلى توحيد الألوهية ؛ كما أخبر الله عنهم في كتابة المجيد :

قال الله مخبراً عن نوح - عليه السلام - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال عن هود : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَهٌ مُّفْتَرُونَ ﴾ [هود : ٥٠] .

وقال عن صالح : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٦١] .

وقال الله عن شعيب : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٨٤] .

وقال الله مخبراً عن موسى - عليه السلام - في محاجته مع فرعون : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾

إلى آخر الآيات . [الشعراء : ٢٣ ، ٢٤]

وقال الله مخبراً عن موسى أنه قال لبنى إسرائيل : ﴿ قَالَ أَغَيِّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٠] .

وقال عن عيسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥١] .

وأمر الله نبيه محمداً أن يقول لأهل الكتاب : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وقال الله تعالى منادياً جميع البشر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا

رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة : ٢١﴾

وبالجملة : فالرسل كلهم بُعثوا لتوحيد الألوهية ودعوة القوم إلى إفرااد الله بالعبادة ، واجتناب عبادة الطواغيت والأصنام .
كما قال الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ^(١) ﴾ [النحل : ٣٦] .

(١) والطاغوت : مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، ويطلق على الشيطان والكهان ، وكل ما عبد من دون الله .

وقد حده العلامة ابن القيم حداً جامعاً ، فقال : « الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله » .

فإذا تأملت هذا التعريف عرفت أن حكم القانون من الطاغوت ، وأن الحاكم القانوني طاغوت ؛ لأنه يحكم بتشريع وضعي لا يستند إلى القرآن والسنة ولا إجماع الأمة .

وقد ذكر الله في عدة آي من القرآن : أن الحكم لله ، وأن مرد النزاع إلى الله ورسوله : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٤٠] ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، وقال : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى =

فقد سمعت دعوة كل رسول لقومه ، فكان أول ما يقرع
أسماع قومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
[الأعراف : ٥٩] ومواضع أخرى .

تفسير العبادة

العبادة في اللغة معناها : التذلل والخضوع ، يقال : طريق
معبد أى مذلل (١) .

= الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴿
[النساء : ٥٩] .

وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤]
آية : ﴿ هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وآية : ﴿ هم الفاسقون ﴾ [المائدة : ٤٧] .
(١) لا بد لها من ركنين أساسيين . الأول : نهاية الخضوع والتذلل ، والثاني :
غاية المحبة .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - بعد أن فسر العبادة بمعنى الذل ما نصه :
« لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية
الذل لله تعالى بغاية المحبة له » .

قال : « ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولهذا لا يكفي
أحدهما في عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ،
وأن الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله .
وما أحب لغير الله فمحبه فاسدة ، وما عظم لغير الله فتعظيمه باطل . قال
تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقتربتكم وبطاعة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [التوبة : ٢٤] هـ . من العبودية .

وفى الشرع : معنى العبادة - كما قال شيخ الإسلام هـى : طاعة الله ، بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل .
وقال أيضاً : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة . ١ . هـ .
فعلى المسلم أن يفرد ربه بجميع أنواع العبادات مخلصاً لله فيها ، وأن يأتى بها على الوجه الذى سنّه رسول الله قولاً أو عملاً .

شمول العبادة للأنواع الآتية

واعلم أن العبادة تشمل الصلاة ، والطواف ، والحج ، والصوم ، والنذر ، والاعتكاف ، والذبح ، والسجود ، والركوع ، والخوف ، والرغبة ، والرغبة ، والخشية ، والتوكل ، والاستغاثة ، والرجاء ... إلى غير ذلك من أنواع العبادات التى شرعها الله فى قرآنه المجيد ، أو شرعها رسول الله بالسنة الصحيحة القولية أو العملية .

فمن صرف شيئاً منها لغير الله يكون مشركاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

وقوله : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

فأحد جاءت نكرة فى سياق النهى ، تعم كل مخلوق ، رسولا كان أو ملكا أو صالحا .

أول حدوث الشرك :

إذا ثبت هذا ، فاعلم أن أول ما حدث الشرك : فى قوم نوح ، ولما أرسل الله إليهم نوحا يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة تلك الأصنام عاندوا وأصروا على شركهم ، وقابلوا نوحا بالكفر والتكذيب . وقالوا - كما فى القرآن الكريم - ﴿لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح : ٢٣] .

فى الصحيح (*) عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فى هذه الآية : قال : أسماء رجال صالحين من قوم نوح ؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا (٢) أى صوروهم على صور أولئك

(*) أى صحيح البخارى (٦٦٧ / ٨ - فتح) .

(٢) أنصاب : جمع نصب ، وأصله ما نصب ، كفرس ونحوه ، والمراد هنا : الأصنام المصورة على صورهم ، المنصوبة فى مجالسهم .

الصالحينَ وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتسخَّ العلمُ عبت .

قال الحافظ ابن القيم - رحمه الله - (**) : « قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم » .

سبب الشرك الغلو في الصالحين

ومن هنا نعلم أن الشرك إنما حدث في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين .

ومعنى الغلو : الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .

أى لا تفرطوا في تعظيمه حتى ترفعوه عن منزلته التي أنزله الله ، فتنزله المنزلة التي لا تنبغى إلا لله .

ولهذا ورد الحديث الصحيح (**) عن عمر بن الخطاب ، أن

(*) راجع إغاثة اللفهان (٢٠٥/٢ ، ٢٠٦) .

(**) حديث صحيح : أخرجه البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء =

رسول الله - ﷺ - قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد ؛ فقولوا : عبد الله ورسوله » .
أى لا تتجاوزوا الحد فى مدحى ، فتتزلونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله بها ، كما غلت النصارى فى عيسى فادعوا فيه الألوهية .

ولكن أبى الجاهلون والمخرفون إلا مخالفة أمر رسول الله ، وارتكاب نهيه ، فناقضوه أعظم مناقضة ، وضاهوا النصارى فى غلوهم وشركهم ، وبنوا القباب ^(١) والمساجد على أضرحة الأولياء والصالحين ، وصلوا فيها - وإن كان لله - لكن بقصد = (٣٤٤٥) : باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ تبعدت من أهلها ﴾ .

(١) قلت فى منظومتى « اللآلئ السنية » :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| عبد الأكثر منهم صالحاً | ونبيك ووليك شهيراً |
| كل قطر عندهم معبودهم | أشركوه بالذي قد فطرا |
| وقباباً فوقهم قد أسسوا | خالقوا المختار فيما حذرا |
| كم حديث ثابت قد وردا | قد نهى الأمة مما صدرا |
| وأبوهما هاج هذاك التقى | عن على المرتضى قد أخبرا |
| طمس تمثال وقبر مشرف | هدمه يروى ، وذا قد حررا |
| وذرو العلم بهذا قد حكموا | راجع الكتب تجد ما سطرنا |

التعظيم للمقبورين ، وطافوا بقبورهم ، واستغاثوا بهم في كشف الملهمات وقضاء الحاجات ، ورأوا أن الصلاة في أضرحة الأولياء أفضل من الصلاة في المساجد .

وقد ورد في الحديث عن عائشة - عن النبي ﷺ - قالت : ﴿ لما نزل (١) برسول الله - ﷺ - طفق (٢) يطرح خميصة (٣) له على وجهه ، فإذا اغتم (٤) بها كشفها ، فقال - وهو كذلك - : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » - يحذر ما صنعوا (٥) ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً (٦) »

(١) نزل : بضم النون وكسر الزاي ، مبني لما لم يسم فاعله ، أي نزل به ملك الموت .

(٢) طفق : بكسر الفاء وفتحها ، والكسر أفصح ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ومعناه : جعل .

(٣) خميصة : بفتح الخاء : كساء له أعلام .

(٤) إذا اغتم بها كشفها : أي إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه .

(٥) يحذر ما صنعوا : هذا من كلام عائشة رضي الله عنها .

(٦) لعنهم النبي - ﷺ - على هذا الفعل بعينه وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، أي كنائس وبيع يتعبدون ويسجدون فيها لله ، وإن لم يسموها مساجد ، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم ، ومثل ذلك القباب =

أخرجه الشيخان (*) .

وجرى منهم الغلو في الشعر والنثر ما يطول عده ، حتى جَوَزُوا الاستغاثَةَ بالرسول وسائر الصالحين في كل ما يستغاث فيه بالله ، ونسبوا إليه علم الغيب !! حتى قال بعض الغلاة : لم يفارق الرسول الدنيا حتى علم ما كان وما يكون !! وخالفوا صريح القرآن : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام :

٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

= والمساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين ، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم ، وإن لم يسمها من بناها مساجد . وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزاً لهم عن غيرهم ؛ فإذا كان - ﷺ - لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء فكيف بمن بناها على قبور غيرهم !

ا. هـ . (من تيسير العزيز الحميد) .

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الصلاة باب (٥٥) برقم (٤٣٥) . ومسلم : كتاب المساجد : باب (النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد) (٥٣١) (٢٢) . أما رواية : « ولولا ذلك » فهي عند مسلم أيضاً برقم (٥٢٩) (١٩) .

وقال تعالى مخبراً عن رسوله : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْفَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .
 وقوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١) [النمل : ٦٥] .

وإذ علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو في الصالحين ، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى أفراد الله بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون بذلك ، كما قررناه وكررناه .

ولذا قالوا : ﴿ أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف : ٧٠] ، أى لنفرد بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا .

* * *

(١) وفي هذه الآية كما ترى انفراده يعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة - رضي الله عنها - : (من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم القرية على الله) . وكونه - ﷺ - أخيراً ببعض المغيبات فهو من وحي الله له .

أنواع العبادة وادلتها

اعلموا أن من أنواع العبادة - كما سبق - الركوع ،
والسجود ، والطواف ، والنذر ، والذبح ، والاستغابة ، والاستعانة ،
والحلف ، والتوكل ، إلى غير ذلك مما مر .

فدليل الركوع والسجود قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
[الحج : ٧٧] .

ودليل الصلاة والذبح قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾
[الكوثر : ٢ ، ٣] .

وللحديث الصحيح : (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ) (*) .
ودليل النذر والطواف ^(١) قوله تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

(*) حديث صحيح : أخرجه مسلم : كتاب الأضاحي (١٩٧٨) : باب
تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ، من حديث علي رضي الله عنه .
(١) أي لا ينذروا لغير الله ، ولا يطوفوا بغير البيت المعتيق ، فلا يجوز النذر =

= للأولياء ولا للصالحين ، ولا الطواف بقبورهم كما يفعل الجاهلون بقبر الجيلاني والحسين والبدوي والدسوقي وغيرهم ، فإن هذا شرك لا مرأى فيه . وكثير من المبتدعين الجاهلين الخرفين ينذر للصالحين ، وبعضهم يرسل أموالاً من بلدان الخليج العربي لقبور الأولياء - بزعمهم - في إيران ، للسدنة ولتعمير القباب !!

كما يفعل ذلك كثير من الهنود والباكستانيين ، بنذرهم لعبد القادر الجيلاني أموالاً طائلة ، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة ، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة !

وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين فإنهم ينذرون أموالاً لقبور أهل البيت في النجف وكربلاء ، وخراسان وقم ، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور ، للطواف بها ، والاستغاثة بساكنيتها ، وطلب قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسموات . وكما لا يجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين ، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم ، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء ، بل يستغفر الله ويتوب إليه ، ويأتي بالشهادتين ، لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك . ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء فوققه باطل ، أو وصى لها . فوصيته باطلة ، وذلك العقار أو الحيوان لا زال على ملك صاحبه ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق .

وقول بعضهم : أن النذر لله والثواب للولي كلام باطل وضلال عاقل ، فأى شيء أدخل الولي هنا ؟! إن كان قصده الصدقة فليصدق على الفقراء ، عن نفسه وعن أبويه وأقاربه ! وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي !! والأمور =

ودليل الحلف بالحديث الوارد (*) عن ابن عمر رضي الله عنه
عن النبي - ﷺ - : (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ) ، وفي
لفظ : (فَقَدْ كَفَرَ) .

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

[الفاشحة : ٥] .

= يخواتمها فقد يكون ظاهره صديقاً وباطنه زنديقاً .

ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر ، فإذا
أنكرت عليهم قالوا : الذبح لله والثواب للولي ! وليس المقصد من هذا إلا التلبيس
وقلب الحقائق ، وهم لم يقصدوا إلا الولي ، على أن العلماء قد صرحوا : أن لا
يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ، للحديث عن ثابت بن الضحاك قال : نذر
رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي - ﷺ - فقال : (هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ
أَوْنَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُ ؟) قالوا : لا . قال رسول الله ﷺ : (أَوْفَ يَنْذِرُكَ ، فَإِنَّهُ لَا
وَفَاءَ لَنْذَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ) رواه أبو داود .

(*) حديث صحيح : أخرجه الترمذي : كتاب النذور والأيمان . باب ما
جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥) . وأبو داود : كتاب الأيمان والنذور :
باب كراهية الحلف بالآباء (٣٢٥١) وأحمد . (٤٩٠٤) و (٥٣٧٥) من مسند
ابن عمر ، وبرقم (٢٢٩) من مسند عمر بن الخطاب .
وقال الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (١١٧٧ - موارد)
والحاكم (١ / ١٨ ، ٤ / ٢٩٧) ، وأقره الذهبي وصححه الشيخ أحمد شاكر في
تعليقه على المسند .

والحديث الصحيح (*) عن رسول الله - ﷺ - : (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) .
 ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

ودليل التوكل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

ودليل الرهبة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا يَافَىٰ فَارْهَبْ ﴾ [النحل : ٥١] .
 ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

وهذا خطاب للرسول - ﷺ - كما ترى ، أى لا تدع

(*) حديث صحيح : وهو جزء من حديث ابن عباس الطويل فى وصية النبي ﷺ له : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله .. » الحديث . أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (٥٩) رقم (٢٥١٦) ، وأحمد (٢٩٣/١) ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ .

وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » . وقال الألباني فى ظلال الجنة (١١ / ١٣٨) : « وهو كما قال » ا . هـ . وقال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ص (١٧٤) أن هذه الطريق حسنة جيدة .
 والحديث روي من طرق كثيرة ولذا صححه الألباني فى ظلال الجنة برقم (٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨) .

يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يضرك في دين ولا دنيا - يعنى بذلك الآلهة والأصنام - فإن فعلت فدعوتها من دون الله فإنك إذا من الظالمين ؛ أى المشركين بالله . والرسول - ﷺ - معصوم من الشرك ومن كبائر الذنوب (١) ، وإنما هذا تعليم للأمة .

وقوله : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

والمستغيث بالرسول إنما ينادى ويدعو غير الله ، كأن يستغيث قائلاً : يا رسول الله أنقذنى من هذه الشدة ، أو يا عبد القادر ، أو يا دسوقي ، أو يا رفاعى ، أو يا بدوى ... إلخ .

ولا ريب أن المستغيث بغير الله داخل في هذه الآية وأمثالها .

وكيف يستغيث العاقل المؤمن بغير الله وهو يقرأ هذه الآيات أو يسمعها ؟ !

(١) قيل : ومن صفاتها أيضاً .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) [النمل : ٦٢] .

(١) قال العبادى فى منظومته « هداية المرید » :

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| ومن يقل غير الإله يملك | ضراً ونفعاً فهو أيضاً مشرك |
| ومن ينادى ميتاً أو غائباً | ويرتجيه راغباً وراغباً |
| لدفع ضرر أو حصول نفع | فذاك شرك عند أهل الشرع |
| كمن ينادى مستغيثاً بأحد | أو مستعيناً أو رجاء منه الولد |
| إذ ذاك فى العادة ليس يقدر | عليه إلا الواحد المقسدر |
| وكل ما استحال فى العادات | كطلب الأحياء من الأموات |
| فلم يجوز لمسلم أن يفعله | وأكرر الشرع على من فعله |
| فما لكم يا معشر الجهال | تدعون غير الله ذى الجلال |
| فى جلب نفع أو لدفع ضرر | أو برء سقم وارتفاع شر |
| من ليس يغنى نفسه من ضررها | ولم يطبق إنقاذها من فقرها |
| وتستمدون من الأموات | تيسير عسر وقضا الحاجات |
| ألم تروا أن الدعا عبادة | لا يمتري فيه ذوو الشهادة |
| فمن دعا غير الإله أحداً | يمنحه الخير ويكفيه الردى |
| فإنه لمن دعاه عابداً | سواء الجاهل والمعانداً |
| وفى ثبوت النهى فى الكتاب | دلائل لمبتغى الصواب |
| يكفيك أن الله قال ادعونى | كمثل ما قد قال فاعبدونى |

يبين الله في هذه الآية أن المشركين من العرب ونحوهم كانوا يعلمون أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده، فذكر ذلك محتجاً عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه، ولهذا قال : ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ بالاستفهام الإنكارى ، أى ليس إله مع الله يجيب المضطر ويكشف السوء .

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي - ﷺ - منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله - ﷺ - من هذا المنافق ، فقال النبي - ﷺ - : « إِنَّهُ لَا يَسْتَغَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا يَسْتَغَاثُ بِاللَّهِ » (*) .

الركوع والسجود والنذر لغير الله

فمن ركع أو سجد لحى أو لميت ، أو نذر لغير الله ، كأن ينذر لقبور الأولياء أو الصالحين ، أو يذبح لهم ، أو للأشجار أو للعيون .

(*) **ضعيف الإسناد** : رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠) من حديث عبادة بن الصامت ، وقال الهيثمي : « رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث » ا . هـ .
وابن لهيعة ضعيف مختلط إلا في رواية العبادلة عنه وهذه الرواية ليست منها ، والله أعلم .

أو يطوف بقبر نبي أو ولي ؛ كأن يطوف بقبر الرسول - ﷺ -
أو بقبر على بن أبي طالب ، أو بقبر الحسين أو الحسن ، أو
علي بن موسى الرضا ، أو عبد القادر الجيلاني ، أو البدوي ، أو
الرفاعي أو غيرهم .

أو يستغيث بهم في الشدائد ، كأن يقول : يا رسول الله
أنقذني ... يا رسول الله فرج عني هذا الكرب ، المسدد يا عبد
القادر يا جيلاني .

أو يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يطلب
عافية من مرض له أو لغيره ، أو قدوم غائب ، أو يرزقه ولدًا ، أو
يأتي له برزق ، أو يفرج عنه شدة وكربة ، أو نحو ذلك من
الأمر التي ليست في قدرة المخلوق أن يفعلها :

فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركًا بالله العظيم^(١) .

(١) قال شيخ الإسلام : الشرك نوعان : أكبر وأصغر . فمن خلص منهما
وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من
الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ،
ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار .
فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر ، أو كان كثيرًا أصغر ، والأصغر القليل في
جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به . ١ . هـ من (تيسير العزيز الحميد) .
فالشرك الأكبر كالسجود والنذر لغير الله ، والأصغر : كالرياء والحلف بغير الله
- إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله : =

شركاً أكبر ، لا يغفر الله له إلا أن يتوب ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨] .

أما ما كان فى إمكان المخلوق الحي فلا بأس بأن تستعين به ، مثل أن تطلب منه أن يعينك فى قضاء حاجة ، أو إنقاذ من غرق أو حريق ، أو ما سوى ذلك .

الآيات الآمرة بعبادته

والمبينة عجز المعبودات الباطلة

هذا وقد أكثر الله فى كتابه المجيد من الآيات الآمرة بعبادته والحائى عليها ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١]

وقال الله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

| | |
|------------------------|--------------------------|
| مثلها بين البرايا توجد | = فتنة الشرك وما من فتنة |
| من إله يتقى أو يعبد | ليس غير الله فى سلطانه |
| فى علاه من شريك يعبد | مالك الملك تعالى ماله |

للشاعر أحمد محرم .

وقال مبيّنًا عجز تلك الآلهة التي عبدها المشركون من أن تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضرراً ؛ بل ولا تدفع عن نفسها فضلاً عن غيرها - فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ [الحج : ٧٣] .

وقال مبيّنًا أن النفع والضرر بيده لا بيد غيره ، بقوله : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وأخبر الله - سبحانه وتعالى - أنه ييكت النصارى ويوبخهم على عبادتهم للمسيح :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

فانظروا كيف يتبرأ المسيح من عبادة النصارى ، ويقول :
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة :

١١٧ .

والله يعلم أن المسيح لم يأمر بعبادته ، ولا يرضى بذلك ،
ولكن يريد الله من هذه الآيات أن يبين للناس أن عبادة المسيح
الذى هو من الأنبياء المرسلين لا تجوز ؛ بل ويكون شركاً .
فكيف بعبادة غيره من الأولياء ، ومن الأشجار ، ومن الغيران
والكهوف !!

ألم يسمع هؤلاء الضالون قول الله مخاطباً لسيد العالمين :
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس : ١٠٧ .

فإذا كان الضر النازل بالرسول لا يستطيع أن يدفعه ، فكيف
يستطيع الرسول - وأولى من هو دونه - أن يدفع ضرراً نزل
بغيره ؟!

ألم يسمع هؤلاء قول الله العظيم : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ٨٠ .

ألم ينع على اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم

أرباباً من دون الله ^(١) كما قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

(١) روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن عدى بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ - يقرأ هذه الآية ، فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، قال : « أليس يحرمونما أحل الله فتحرمونه ! ويحلون ما حرم الله فتحلونه ! » فقلت : بلى . قال : « فقلت عبادتهم » . فأنت ترى أن الحديث يصرح أن عبادة الأحرار والرهبان هي طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله .

قال شيخ الإسلام : ما معناه مختصراً - إن هؤلاء المقلدين الذين اتخذوا الأحرار أرباباً في تحليل ما حرم الله . وعكسه ، يكونون على وجهين : أحدهما : يعلمون أن الأحرار والرهبان قد بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وعكسه ، إتباعاً لرؤسائهم ، فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركاً ، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون . الثاني : يعتقدون تحريم الحرام وعكسه ، لكن أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب . ١٠ هـ .

ومثل هؤلاء : المقلدون للمجتهدين ، الذين يخالفون آي القرآن ونص الحديث الصحيح الآتي بخلاف مذهبهم ، فيجمدون على المذهب ويتعصبون له ، بحجة أن صاحب المذهب أعلم منا والمتحدث منهم يؤول الآية على حسب أهوائه ومذهبه ، ويرد الحديث بـ : « لعله لم يصح عند إمامنا » أو : « لعل له ناسخاً أو مخصصاً لا نعلمه » ، ونحو ذلك من الأعذار الواهية والشبهات الداحضة ، وأين هؤلاء من هذه الآية الشريفة ، ومن قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، ومن قوله : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿التوبة : ٣١﴾ .

* * *

= على أن الأئمة - رحمهم الله - لهم الفضل في تدوين العلوم ، ومكانتهم لاتخفى ، وقد نهوا عن تقليدهم وتقليد غيرهم ، وليس كلامنا في العاجز ، أو من لم يظهر له الدليل ، فإن هذا لا بأس له أن يقلد ، وإنما كلامنا فيمن حوى من المعلوم ما يمكنه من فهم الآيات والأحاديث ، أو ظهر له الدليل بخلاف المذهب وإن لم يحو من العلم شيئاً كثيراً ، فإن مثل هذا لا عذر له في ترك النص والأخذ بالتقليد .

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وجهل الكثيرين به

فالواجب على كل مسلم أن يميز الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، لأنه قد أخطأ فيهما كثير من العلماء ؛ فضلاً عن الجهلاء .

وذلك أن أولئك المخطئين فسروا كلمة (الإله) بالقادر على الاختراع ، أو الخالق ، أو المالك .

والحال أن الأمر ليس كذلك ؛ بل الأله يطلق على كل معبود بحق أو باطل (١) ، ولهذا لما قال الرسول - ﷺ - لمشركي قريش : « قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبُ وَتَدِينْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ » (*) قالوا : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ * وانطلقَ الملأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشَوْا

(١) هذا أصل وضعه في اللغة ، ثم غلب على المعبود بحق .
(*) حديث صحيح : أخرجه الحاكم (٦١١/٢ ، ٦١٢) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال ، والدارقطني (٤٤/٣ ، ٤٥) ، وقال المحدث أبو الطيب شمس الحق آبادي في تعليقه على الدارقطني : «رواته كلهم ثقات » ، من حديث طارق بن عبد الله المخاربي . وأخرجه أحمد (٦٣/٤ ، ٣٧١/٥ ، ٣٧٦) ، وسنده صحيح ، وقال الهيثمي (٢٢/٦) : « رجه رجال الصحيح » ا . هـ .

وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي
الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿ [ص : ٥ ، ٧] .

وأما لفظ الجلالة فلا يطلق إلا على الله العظيم ، فمشركو
العرب كانوا أعرف بمعنى الإله من مشركي زماننا !!

والبلية كل البلية ، والجهل كل الجهل ، أن الكثيرين ممن
ينطقون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يعرفون
معنى هاتين الكلمتين !!

معنى لا إله إلا الله (١)

فلو عرفوا أن معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق في
الوجود إلا الله .

(١) شروط لا إلا الله السبعة :

- ١ - العلم المنافي للجهل : فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها .
ومعناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله . وإخلاص العبادة لله وحده .
- ٢ - اليقين المنافي للشك : لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه
من معناها .
- ٣ - الإخلاص المنافي للشرك : فإن من لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك
شركاً ينافي الإخلاص ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً
لَهُ الدِّينَ ﴾ . [الزمر : ١١] .

فلا إله : نفى لجميع المعبودات الباطلة .

وإلا الله : إثبات للمعبود الحق جل جلاله .

ولو عرفوا هذا المعنى وعرفوا أن ما يأتون به لأوليائهم وسادتهم وقبور صالحهم من الذبح أو النذر لهم أو التبرك بتراب قبورهم أو الصلاة إليهم أو الطواف بأضرحتهم أو طلب قضاء حاجة منهم ؛ تأليه لأولئك الصالحين - والإلهية لا تصلح إلا الله - لعلموا أن هذا شرك أكبر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ

= ٤ - الصدق المنافي للنفاق : لأن المنافقين يقولونها ، ولكنهم لم يطابق قولهم ما فى جنانهم ، فصار قولهم كذباً ، لمخالفة الظاهر للباطن ، كما أخبر الله عنهم : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح : ١١] .

٥ - القبول المنافي للرد : لأن فى الناس من يقولها مع معرفة معناها ، لكن لا يقبل ممن دعاه إليها ، إما كبيراً وإما حسداً ، أو غير ذلك من الأسباب .

٦ - الانقياد المنافي للترك : ويحصل الانقياد بالعمل بما فرضه الله ، وترك ما حرم الله ، والتزام ذلك ؛ لأن الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله ، وينقاد له بالتوحيد والطاعة ، كما قال الله : ﴿ وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [لقمان : ٢٢] .

٧ - المحبة المنافية لضدها : فلا يحصل لقاتلها معرفة وقبول إلا بالمحبة ، لما دلت عليه من الإخلاص المنافى للشرك ، فمن أحب الله أحب دينه ، ومن لا فلا . انتهى ملخصاً من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله .

بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿

[المائدة : ٧٢] .

وإذ ذكرت للقارئ شروط لا إله إلا الله - ولا إله إلا الله هي
كلمة التقوى ومفتاح الإسلام ومفتاح الجنة دار السلام - :

نواقض الإسلام

فمن الجدير أن أذكر نواقض الإسلام ، فهناك بيانها :

الأول : الشرك في عبادة الله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .
﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] . ومنه الذبح لغير الله كمن
يذبح للجن أو للقبر .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم
الشفاعة ويتوكل عليهم : فقد كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو
مذهبهم كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبي - ﷺ - أكمل من
هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون

حكم الطواغيت على حكمه : فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ولو عمل به فقد كفر .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ ، ٦٦] .

السابع : السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به : كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى - عليه السلام - فهو كافر .

العاشر : الإعراض عن دين الله ؛ لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ

أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة : ٢٢] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف - إلا المكره - وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً . فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه . نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه (١) .

معنى محمد رسول الله

ولو عرفوا أن معنى : (أشهد أن محمداً رسول الله) :

طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع ، لا بالأهواء والبدع ، وتأملوا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) [النور : ٦٣] .

(١) كتاب (مجموعة التوحيد) .

(٢) أمره : أى أمر الرسول . فتنة : أى شرك أو كفر .

وقوله - ﷺ - : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) (١).
 وقوله في الحديث الشريف : (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِنَّا كُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) .
 رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح (*) - :

بيان بعض البدع (٢)

لعلمو أن كثيراً من صلواتهم وأدعيتهم وأذكارهم وأحزابهم

(١) رواه مسلم من حديث عائشة - رضی الله عنها - . والمتفق عليه : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود على صاحبه .
 (*) حديث صحيح : رواه أبو داود : كتاب السنة : باب فى لزوم السنة (٤٦٠٧) ، والترمذى : كتاب العلم : باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) ، وابن ماجه فى المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢) ، وأحمد (١٢٧ / ٤) .
 وهو حديث صحيح ، صححه ابن خبان (١٠٢) ، والحاكم (٩٥ / ١) وقال : « صحيح ليس له علة » ، وصححه الألبانى فى ظلال الجنة (١٨ / ١) .
 (٢) البدعة : لغة : الأمر المحدث الذى لم يسبق له نظير ، لأن مادة بدع للاختراع .

وعرف علماء الفقه والحديث البدعة بتعاريف ، أحسنها وأوضحها : الأمر المحدث بعد الرسول ، بقصد التقرب إلى الله . فيقصد التقرب خرجت البدعة الدنيوية كإحداث البارود والقهوة والمناحل والسيارات والطائرات وما أشبه ذلك . =

= وتقسيم بعض العلماء البدعة إلى حسنة وقييحة تقسيم باطل لا مستند له من الشرع .

والتقسيم الصحيح أنها قسمان : دينية ودنيوية ، وقد عرفتهما مما سبق .
وكيف لتقسيمهم إلى حسنة وقييحة أصل وهو ينافى القرآن والحديث ١٩ وإليك البيان على وجه الاختصار :

١ - أما القرآن ، فقد قال الله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] ،
فما انتقل الرسول من الدنيا إلا والدين كامل لا يحتاج إلى الزيادة .
ونضيف إلى ذلك : أن التشريع من حق رب العالمين ، وليس من حق البشر ،
ولئن جازت الزيادة في الدين جاز النقص ! ولا قائل بذلك :

بدين المسلمين إن جاز زهد فجاز النقص أيضاً أن يكونا
كفى ذا القول قبحاً يا خليلي ولا يرضاه إلا الجاهلون

٢ - وأما الحديث : ففي الصحيح : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » . ولفظ « كل » للعموم ، ولا يخرج فرد من الأفراد المبتدعة إلا بمخصص ، فأين المخصص هنا حتى يقال هذه بدعة حسنة وخرجت من حيز العموم ١٩ فإن كان المخصص حديث « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » فالجواب : أولاً : إن هذا ليس بحديث عن النبي - ﷺ - ، بل من كلام ابن مسعود .

وثانياً : إن (آل) في كلمة « المسلمون » إن كانت للاستفراق - أي كل المسلمين : فإجماع ، والإجماع حجة ولا كلام فيه . وإن كانت للمجنس فيستحسن بعض المسلمين هذا الأمر ويستقبحه البعض الآخر ، كما هو الواقع في أكثر البدع ، وعليه فقد سقط الاحتجاج بهذا الأثر .

مما ابتدعه بعض الفقهاء الجامدين ، أو المتصوفة المبطلين - أنها من البدع والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، مثل الذكر بالاسم المفرد : (الله الله ! أو : يا هو يا هو) !

ومثل حلق المريدين (اجتماعهم في حلقات) الذين يزعمون أنهم يذكرون الله بمثل هذه الأذكار المخترعة .

وكصلاة الرغائب ^(١) ، ومثل حزب البحر وأمثاله ، وابتهالات وصلوات ومناجاة وإنشاد قصائد في مدح النبي - ﷺ - فوق المنائر قبل الفجر وفي ليلة الجمعة ويومها ، وبعض صيغ صلوات على الرسول لم ترد السنة بها :

مثل قولهم : اللهم صل على محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .

وكقولهم : اللهم صل على محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون !

لأن الصلاة على الرسول من أجل القربات ، كيف لا وقد

(١) من أشنع البدع وأقبحها بدعة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، بحجة أن العدد ناقص عن الأربعين ، أو أن المأمومين لا يحسنون القراءة . فإن هذه البدعة الضالة تجر إلى الكفر إن اعتقد أن صلاة الظهر بعد الجمعة فرض ، وإلى البدعة والضلال إن اعتقد أنها سنة .

أمرنا الله بها في كتابه المجيد ، بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

والصبيغ الواردة في الصلاة على الرسول مدونة في كتب السنة لا حاجة إلى الاختراع والابتداع في صيغها لأن الصلاة عليه - ﷺ - عبادة ، والعبادة مبنية على التوقيف .

من صيغ الصلاة علي الرسول

ومن الصبيغ الواردة للصلاة عليه - ﷺ - ما رواه مسلم (*) عن ابن نمير عن روح بن عبادة وعبد الله بن نافع الصائغ - أنهم قالوا : يا رسول الله : كيف نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : (قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ،

(*) حديث صحيح : أخرجه مسلم : كتاب الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٤٠٧) (٦٩) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه .

أما روح بن عبادة وعبد الله بن نافع الصائغ فهما شيوخ شيوخ مسلم وليس بصحابيين كما يوهمه صنيع المؤلف .

كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارَكْتَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ
كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

وكما رواه البخاري (*) عن أبي سعيد الخدري ، قال : قلنا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ عَرَفْنَاهُ ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟
قَالَ : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، كَمَا
صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارَكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ » .

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب التفسير : باب ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿ ٤٧٩٨ ﴾ .

شبهة للقبوريين و ردها

ولإنما قلنا : يجب على المسلم أن يميز الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية لأن الموحّد إذا أنكر عليهم ما يأتون من أفانين العبادات ، وأنواع التضمرعات لتلك القبور ، وقال لهم : إن عملكم هذا شرك - غضبوا وقالوا : كيف تصفنا بالشرك ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، ويده النفع والضرر ، وإليه المرجع والمصير ! وغاية الأمر أننا نجعل هؤلاء الأنبياء أو الصلحاء شفعاء يشفعون لنا عند الله ، لأننا ملطخون بأنجاس الذنوب ، ليس لنا قدر حتى نطلب من الله أن يغفر ذنوبنا ، أو يقضي حاجتنا ، أو يدفع ضررنا ، فنستشفع بهؤلاء ونجعلهم وسطاء بيننا وبين الله ؛ لما نعلم ما لهم من الجاه والمنزلة بمثابة الوزير عند الملك حيث إن أفراد الرعية لا يستطيعون أن يصلوا إلى الملك إذا حل بهم ظلم أو كارثة ، فيتوسلون بالوزير أو المقرب ، ليشفع لهم عند الملك أو السلطان ، أو الوزير ليقضى الملك حوائجهم أو يدفع عنهم الظلم !!

فنقول لهؤلاء الجهلاء في الجواب :

أولاً : إن عقيدتكم هي عقيدة المشركين بذاتها !

قال الله إخباراً عن المشركين السالفين : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبَيِّنُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

وقال الله في آية أخرى إخباراً عنهم : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

فاعتقاد أولئك المشركين بأن الله خالقهم ورازقهم ... إلخ لم ينفعهم ، ولم يحقن دماءهم ؛ لأنهم عبدوا الأصنام ليقربوهم إلى الله ، وليشفعوا لهم .

لم يعبدوها لأنها خالقة ورازقه ومدبرة للأمور ^(١) ، ولا يخفى هذا على أحد قرأ القرآن وتدبره .

(١) إذ لا يتصور عاقل عرف حال المشركين وما أوتوا من فهم وعقل أن ينحتوا أصناماً بأيديهم ويعتقدوا أنها خالقة ورازقة ومدبرة ، ولا يوجد عاقل يعتقد ذلك ، لا في الوثنيين السالفين ، ولا الحاضرين ، ولكن عبدوها على أنها صور قوم صالحين ، و تقربوا إليها بالعبادات لكي تشفع لهم عند الله ، كما نطق القرآن بذلك .

تشبيه الخالق بال مخلوق

وثانيًا : إن هؤلاء الجهلاء قد شبهوا الرب العظيم بالملك البشرى .

قد شبهوا رب العالمين بالسلطان المخلوق من ماء مهين .
قد شبهوا أعدل العادلين وأرحم الراحمين بالملك المخلوق الذي قد يكون من أظلم الظالمين .

قد شبهوا الله بالمخلوق وتوسلوا إليه بالشفعاء والأنداد ، فجمعوا بين الشرك والتشبيه ، ولم يعلموا أنه لا يقاس الإله بالمخلوق ولا الرب المالك بالمملوك .

وبيان ذلك على وجه الاختصار أن الملك البشرى قد لا يعلم بالظلم الواقع على ذلك المتوسل بالوزير ، أو يعلم أن الظلم الواقع : من أحد أبنائه أو عشيرته ممن يجاملهم ولا يريد أن يجرح عواطفهم ! أو أن الظلم صدر منه على ذلك .

فأنى يقاس الخالق بالمخلوق ؟!

فهل الله لا يعلم بالظلم الواقع على هذا العبد ؟! أو لا يعلم بحاجته ، أو بالضرر الذي مسّه ؟! وهو القائل : ﴿ هُوَ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] .

وهل الله يصدر منه الظلم لأحد ؟
 أو له أقرباء ينزلون ظلمهم بأحد من العباد ؟
 وهل لله وزير أو مُعين أو ظهير حتى يتوسل إليه العباد ،
 ليشفع لهم عند الله ذلك الوزير أو المعين أو الظهير ؟
 فما أفسد هذا القياس وأخبثه ! وما أجهل هؤلاء وأكفرهم
 بالله !

لا واسطة بين الخالق والمخلوق

إلا في تبليغ الشرائع

وأي حاجة إلى واسطة والله يقول : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ
 حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .
 ويقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
 الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .
 والواسطة للتبليغ هم الرسل - عليهم الصلاة والسلام - .
 أما الواسطة في رفع ضرر أو جلب نفع ، فتلك عقيدة
 المشركين !

كيف تكون واسطة بين العبد وربه وقد قال الله تعالى :
 ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١﴾ [غافر : ٦٠] .

لم يقل الله : ادعوا أوليائي ، أو ادعوا أنبيائي ، أو استغيثوا بأحبائي والصالحين من عبادي .

بل قال : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وفي الحديث الشريف : « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ » (*) .
كما ورد في الحديث : « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ » (**).

(١) داخرين : صاغرين .

(*) حديث حسن : أخرجه الترمذی : كتاب الدعوات : باب (٢) رقم (٣٣٧٣) وابن ماجه : كتاب الدعاء : باب فضل الدعاء (٣٨٢٧) ، وأحمد (٤٤٣ ، ٤٤٢/٢) والبخاری فی الأدب المفرد (٦٥٨) ، والحاكم (٨٨٥) .
وإسناده ضعيف ، فيه أبو صالح الخوزی : لين الحديث - كما فی التقريب .
والحديث له شواهد كثيرة ولذا حسنه الألبانی فی صحيح ابن ماجه (٣٢٤/٢) .

(**) حديث حسن : أخرجه الترمذی : كتاب الدعوات : باب (٦٦) رقم (٣٤٧٩) .

والحاكم (٤٩٣/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

=

ولم يقل الرسول - ﷺ - ادعوا الأنبياء حتى يطلبوا من الله لكم ، أو توسلوا بالأنبياء والصالحين !

عدم ثبوت التوسل عن النبي وأصحابه

ولذا لم يثبت التوسل عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت التوسل عن الصحابة بالرسول - ﷺ - ، ولم يثبت عن التابعين ، ولا عن الأئمة المعترين .
التوسل قسمان : مشروع وممنوع .
أما المشروع فهو قسمان أيضا :
القسم الأول : هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله ، وبالأعمال الصالحة .

ولم يقع في هذا خلاف بين العلماء ، سواء كان في حياة الرسول أو بعد موته .
القسم الثاني من المشروع : التوسل بدعائه - ﷺ - يوم كان حيا ، بأن يأتي السائل فيسأل الرسول - ﷺ - أن يطلب له من الله العافية .

= والحديث ضعف إسناده الذهبي والمنذرى في الترغيب (٢٧٧/٢) .
والحديث له شواهد كثيرة ، ولذا حسنه الألباني في الصحيحة (٥٩٦) وصحيح الجامع (٢٤٣) .

كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستسقى لهم* .
وكما طلب الأعمى من الرسول أن يدعو له برد بصره - إن
صح (١) حديث الأعمى (**).

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الاستسقاء : باب الاستسقاء
في المسجد الجامع (١٠١٣) ، ومسلم : كتاب صلاة الاستسقاء : باب الدعاء
في الاستسقاء (٨٩٧) (٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .
(١) لم يصح حديث الأعمى ، وهو حديث عثمان بن حنيف . قال في
صيانة الإنسان) هو غير ثابت ، لأن في سنده أبا جعفر الرازي ، وهو سيء
الحفظ ، يهم كثيراً ، فلا يحتج بما ينفرد به . هـ . وعلى فرض صحته فإنه
توسل بدعائه - ﷺ - لأن في الحديث عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً
أتى النبي ، فقال : يا نبي الله ادع الله ، أن يعافيني . قال : لا ، بل ادع الله لي ،
ذلك فهو خير لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك . قال : لا ، بل ادع الله لي ،
فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين ، وأن يدعو بالدعاء المذكور في الحديث .
فالحديث نص في التوسل بدعائه - ﷺ - والتوسل بدعاء الرسول وغيره في
الحياة جائز لا خلاف فيه . وليس في هذا الحديث : أسألك بحق محمد ، أو
بجاه محمد ، حتى يصح استدلالهم .

(**) حديث صحيح : خلافاً لما ذهب إليه المؤلف حفظه الله .
وقد أخرجه أحمد (١٣٨/٤) والترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥)
والحاكم (٣١٣/١) من طريق شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة عن
عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً ... الحديث وإسناده صحيح .
وقد ضعف المؤلف الحديث لظنه أن أبا جعفر هو الرازي ، وإنما أبو جعفر
المذكور هو الخطمي كما صرح بذلك الترمذي .
=

وكما طلبت الجارية السوداء - التي كانت تصرع - أن يعافئها الله ، فخيرها الرسول بين الصبر وبين أن يدعو لها فاختارت الصبر ، وسألت أن يدعو الله ألا تتكشف عندما يأتيها الصرع (*) .

وهذا التوسل الذي هو بدعائه قد انقطع بموته - ﷺ - .
فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبر رسول الله ويسأله حاجة أو غفران ذنب أو كشف ضرر .

والدليل على ذلك : أن في خلافة عمر بن الخطاب انقطع المطر وأراد عمر أن يستسقى ، وطلب من العباس بن عبد المطلب أن يدعو لهم بالاستسقاء ، فقال : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجَدَبْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ نَبِيَّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَعْمَ نَبِيَّنَا ، ثُمَّ قَالَ : قُمْ يَا عَبَّاسُ فَادْعِ اللَّهَ لَنَا . رواه البخاري (**) .

= وعند ماجة ، والحاكم : عن أبي جعفر « المدنى » ، والمدنى هو الخطمين ، واسمه عمير بن يزيد ، وقد وثقه ابن معين والنسائي .

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب المرضى : باب من يصرع من الريح (٥٦٥٢) ، ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك (٢٥٧٦) (٥٤) ، من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(**) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الاستسقاء : باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (١٠١٠) .

فلو كان التوسل بالرسول بعد موته جائزاً لما عدلت الصحابة عن الرسول إلى العباس بن عبد المطلب ! وهذا من الواضح بمكان لا يخفى ، إلا من أعماه التعصب والعناد ، وسلك سبيل أهل الضلال والفساد .

ولزيادة الإيضاح والبيان نورد لكم بعض أدعية الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - :

أدعية الرسل

فهذا أبونا آدم ، لما اقترب الخطيئة قال : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . فلم يتوسل أبونا آدم بمحمد كما زعم الزاعمون ، وأوردوه حديثاً عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - !! قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي . فَقَالَ اللَّهُ : يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا : « لَا

= قال الحافظ في الفتح (٤٩٧/٢) : « ويستفاد من قصة العباس الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ، وفيه فضل العباس ، وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه » ا. هـ .

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ « فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضَفْ إِلَيَّ اسْمُكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ » فَقَالَ اللَّهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لِأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ، أَدْعُنِي بِحَقِّهِ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ » . رواه الحاكم في مستدركه (*) .

وقد أجاب أهل العلم : أن الحاكم متساهل في تصحيح الأحاديث ، حتى اتهمه بعضهم بسوء العقيدة .

فقد قال الذهبي في تعليقه على المستدرک في خصوص هذا الحديث أنه حديث موضوع . فلا حجة في موضوع ، بل ولا في ضعيف .

وإذ سمعتم دعاء آدم - عليه السلام - فاسمعوا دعاء نوح ، كما أخبر الله عنه : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح :

. [٢٨]

(*) حديث موضوع : أخرجه الحاكم في المستدرک (٦١٥/٢) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر مرفوعاً ، وقد حكم عليه بالبطلان كثير من الأئمة : منهم الذهبي في تلخيص المستدرک وفي الميزان ، وابن حجر في اللسان ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في « قاعدة جلية في التوسل والوسيلة » .
وراجع الكلام على الحديث بالتفصيل في السلسلة الضعيفة للألباني (٢٥) .

وقال الله عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] (١) .
وقال الله مخبراً عن أيوب : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وعن يونس - لما التقمه الحوت - : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

وعن زكريا : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠] .

وعن يوسف - عليه السلام - : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

وأدعية الرسول - ﷺ - كثيرة مبثوثة في كتب السنة ، وفي كتب الأذكار ، ومنها :

(١) دعاء إبراهيم لوالده قبل أن يتبين له أنه عدو الله ؛ كما أخبر الله عنه : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي وَبَدَنِي ... » إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ (*) .

ومنها دعاء سيد الاستغفار المشهور (**):
 وَمِنْهَا دُعَاءٌ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَدْعُوكَ كَمَا أَمَرْتَنَا ، فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا ، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوَنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْ الْوَارِثَ مِنَّا .. إلخ » (***) .

(*) حديث صحيح : أخرجه أبو داود : كتاب الأدب : باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٧٤) والنسائي (٢٨٢/٨) . وابن ماجه (٣٨٧١) . والحاكم (٥١٦/١) وابن حبان (٢٣٥٦ - موارد) : من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد . وأقره الذهبي . وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص (٣٥) ، وهو جزء من حديث يقال في الصباح والمساء .

(**) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الدعوات : باب أفضل الاستغفار (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس مرفوعاً : « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » . وهو أحد أدعية أذكار الصباح والمساء .

(***) حديث حسن : أخرجه أبو داود والترمذي (٣٤٣٠) وقال : حديث صحيح غريب ، ورواه الحاكم (٥٢٨/١) وصححه ووافقه الذهبي ورواه النسائي . في الدعاء والليلة (٤٠١) وابن السني (٤٤٨) من حديث ابن عمر =

فهل يستطيع أحد من هؤلاء أن يأتي بحرف من القرآن أو من السنة الصحيحة على مشروعية التوسل بالصالحين ، أو الأنبياء والمرسلين ، فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو غيره .
فإن الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيها . وأما التوسل فهو بدعة ، لا كفر .

ومن الأدلة الدالة على أن التوسل يكون بالأعمال الصالحة ما جاء في الحديث (*) عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ، فتوسل أحدهم بير والديه ، والثاني توسل بعفته من الزنا بعد أن جلس من المرأة مجلس الرجال من النساء . والثالث توسل بتنمية أجر الأجير بعد أن ذهب وترك أجرته ثم رجع بعد مدة طويلة وطلب أجرته فردها عليه فإذا هي مال كثير .
احتجاجهم بآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

والجواب عنها : أن الوسيلة هنا معناها : التقرب إلى الله = رضي الله عنهما . وقد حسنه الشيخ الألباني في تخريج الكلم الطيب (٢٢٥) . وهو من أدعية المجالس ، ولكن ليس فيه جملة : اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا ، فاستجب لنا كما وعدتنا .
(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الإجارة : باب من استأجر أجيراً فترك أجرته (٢٢٧٢) . ومسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٢٧٤٣) (١٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

بالأعمال الصالحة ، أو بأسمائه وصفاته ، كما بيّنا في التوسل المشروع ؛ لا كما يقول المبتدعون ، أن نجعل الأنبياء والصالحين شفعاء ووسطاء ؛ ويقولون إنها من الوسائل المأمور بها ، ويفسرون الآية بها .
أو يزعمون أن الشفاعة ثابتة لرسول الله - ﷺ - ونحن نسأله ، لأن الله قد منحه إيّاها .

إثبات الشفاعة للرسول

فالجواب : لا ريب أن للرسول - ﷺ - شفاعات متعددة ، أعظمها : الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم ، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله - ﷺ - .
وله شفاعة أخرى في إخراج بعض من دخل النار من الموحدين ، وأخرى في رفع درجات المؤمنين في الجنة .
ولكن اعتقادنا بثبوت الشفاعة له لا يسوغ للمسلم اتكالا على هذه الشفاعة أن يسأل رسول الله في الدنيا شفاعته أو غفران ذنوبه ؛ كأن يقول : يا محمد اشفع لي ، يا محمد اغفر لي ذنبي ! أدركني ، أستجير بك ممن ظلمني ، أو أسألك يا محمد الشفاعة ... فإن ذلك كله لا يجوز .
بل يقول : اللهم ارزقني شفاعة محمد ، اللهم شفّع في محمد ، أو يقول : اللهم لا تحرمني من شفاعة محمد .

فإذا لم يجز للإنسان أن يقول مخاطباً لرسول - ﷺ - اشفع لي ، أو أغثنني ، أو أستجير بك ، فأولى أن لا يجوز بغيره من الأولياء والصالحين ، ولا يغتر بقول بعض الشعراء :

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مِنَ الْوَذِّ بِهِ

سَوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

فإن هذا الكلام شرك و ضلال ، ولكن الله أعلم بقائله ، هل مات على هذا أو تاب .

يقول : ما لي من الوذ به ، ونقول له :

لَذَّ بِالْإِلَهِ وَلَا تَلْذَّ بِسِوَاهُ مَنْ لَازَ بِالْمَلِكِ الْجَلِيلِ كَفَاهُ

حجج المبتدعة في جواز التوسل والاستغاثة

وقد كثر في كلام بعض الشعراء من الاستغاثات والنداءات لرسول - ﷺ - ولغيره (١) ، كما كثر في كلام المتأخرين من التوسلات والاستغاثات ، وتجويزهم لهما بشبه واهية ، ليس عليها شبهة الصواب ، فضلاً عن الحجة والدليل .

(١) كما قال بعضهم :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| و حل عقدة قلبي يا محمد من | هم على خطرات القلب مطرد |
| أرجوك في سكرات الموت تشهدي | كيما يهون إذا الأنفاس في صعد |
| وقال بعضهم : | |

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| يا سيدى يا صفى الدين يا سندى | يا عمدتي بل ويا ذخرى ومفتخرى |
| أنت الملاذ لما أخشى ضرورته | وأنت لي ملجأ من حادث الدهر! = |

١- مثل احتجاجهم علي التوسل بحديث آدم السابق ذكره .
 ٢- وبحديث : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمَشَايَ هَذَا » .

٣- وبحديث فاطمة بنت أسد الذي رواه ابن جبان والحاكم عن أنس بن مالك ، قال : « لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَكَانَتْ قَدْ رَيْتَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا وَقَالَ : « رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُمِّي بَعْدَ أُمِّي - إِلَى أَنْ قَالَ لَمَّا أَدْخَلَهَا فِي اللَّحْدِ : « أَغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ وَوَسِّعْ لَهَا مَدْخِلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

٤- ومثل احتجاجهم على جواز الاستغاثه بقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص ١٥] .
 ٥ - ويقول تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] .

٦- ويمثل قولهم : لا فرق بين الأحياء والأموات ، فإذا جاز التوسل بالنبي حياً جاز به ميتاً ؛ لأنه حي في قبره ، وهكذا = فانظر إلى الغلو الشنيع من هذين الشاعرين الذين نسيا أن المرجى والملاذ للعبد هو الله - كما في الآيات المارة . والقرآن مملوء بالآيات التي تصرح أن الله هو الذي بيده النفع والضر ، وأنه إليه المرجع والمصير .

سائر الأنبياء ، لأن الأنبياء أعلى مقاماً من الشهداء ، والشهداء قد قال الله فيهم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

٧- وبما يروونه من حديث : « إِذَا أُعْيِتْكُمْ الْأُمُورُ فَعَلَيْكُمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ » .

٨- وحديث : « تَوَسَّلُوا بِجَاهِي فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » ! إلى غير ذلك من الاحتجاجات الواهية السمجة الباردة ، التي تستوجب الضحك عليهم والثناء لحالهم .

الرد (١) على حجج المبتدعين وتغنيدها

وإلى القارئ الجواب عن تلك الشبه ، فنقول :
أولاً : ليعلم القارئ أن التوسل بدعة ليس بكفر ، وإنما الكفر

(١) وبقيت لهم شبهة ، وهي : أنهم قالوا للموحدين : إنكم تعبدون إلى الآيات التي نزلت في الأصنام وعابديها فتزولونها على المسلمين الذين يتوسلون بالصالحين ، ويستغيثون بالمرسلين ، ويأتون بكل شرائع الدين ، فتجعلون المرسلين والصالحين في سلك الأصنام والأوثان ، والمتوسلين في سلك عبيدها .
فالجواب :

أولاً : صرح العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
ثانياً : إن المشركين السالفين ، والكافرين الغابرين ، منهم من كان يعبد الأنبياء كعميس وعزير ، ومنهم من كان يعبد الصالحين ، كود وسواع ويغوث =

هو الاستغاثه برسول الله أو بغيره ، كما مرّ غير مرة .
 وثانيًا : ليس في التوسل بالأموات حديث صحيح أو حسن ،
 وكل ما ورد إما ضعيف أو موضوع :
 ١- فأما حديث الاحتجاج بتوسل آدم فقد سبق الجواب عنه .
 ٢- وأما حديث : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ » فإنه
 ضعيف (*) . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : هذا إسناد
 مسلسل بالضعفاء : عطية وهو العوفي ، والفضيل بن مرزوق ،
 والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء .
 وعلى تسليم أنهم اختلفوا في الفضيل بن مرزوق : فضعفه
 ابن حبان والنسائي وأبو حاتم ، ووثقه ابن معين ،
 وقال ابن حبان فيه : يروى عن عطية العوفي الموضوعات - وهو
 في هذا الحديث عن عطية العوفي - فإن الجرح مقدم على
 التعديل .

= ويعوق ونسر . فكفرهم الله جميعًا ، وأخبر عن كفرهم . وكلمة : (دون
 الله) في مثل قوله : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك » وكلمة : « ما
 لكم من إله غيره » تشمل كل معبود غير الله ، ولو كان نبيًا أو ملكًا ، وقد
 رأيت أن الله كفر اليهود والنصارى بطاعتهم للأخبار والرهبان في تحريم
 الحلال ، وتحليل الحرام ، فضلًا عن السجود لغير الله والنذر له والطواف به .
 (*) حديث ضعيف : أخرجه ابن ماجه (٧٧٨) وأحمد (٢١/٣) وابن
 السنن (٨٣) ، وإسناده ضعيف ، وقد ضعفه البوصيري في ، الزوائد ، والمنذرى
 وغيرهما من الأئمة ، وراجع الضعيفة برقم (٢٤) .

على أننا لو سلمنا بصحة الحديث ، فإننا لا نسلم أن حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو إجابة الله وإعطاءهم سؤالهم ، وهما صفتان له تعالى . فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

٣- والجواب عن حديث فاطمة بنت أسد أنه ضعيف أيضاً* ، فإن فيه روح بن صلاح المصري وهو ضعيف . وعلى فرض تسليم صحته فحق الأنبياء غير مخلوق كما قدمنا في حديث : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ » ؛ بل إنه صفة من صفات الله تعالى ، وهو نصرته للأنبياء ، وإرضائهم وإعلاؤهم على أعدائهم .

٤- وأما احتجاجهم على الاستغاثة بقوله تعالى في قصة موسى : ﴿ فَاسْتَفِئْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ [القصص : ١٥] :

فما أسمعجه من استدلال وما أبرده !! لأنها استغاثة حي بحي فيما يقدر عليه ، وليس في هذا خلاف .

على أن فعل الرجل الإسرائيلي ليس بحجة ، وإجابة موسى له وتقريره عليه ليس بحجة ، لأن ذلك قبل أن يوحى إليه .

وسكوت الأنبياء قبل بعثتهم لا يدل على جواز المسكوت عنه .

(*) حديث ضعيف : رواه الطبراني في الكبير والأوسط كما في المجموع (٣٥٧/٩) وكذا أبو نعيم في الحلية (١٢١/٣) .

وفي إسناده ضعف بينه الألباني في الضعيفة برقم (٢٣) فليراجع .

وبعد ذلك كله ليس هو في شريعتنا !

٥ - وأما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ [النساء : ٦٤] : فالجواب : أن غايتها تعليق غفران ذنوبهم على مجيئهم إليه - ﷺ - واستغفارهم الله ، واستغفار الرسول لهم ، وأنهم ليموا على ترك ذلك ، وليس فيها أنهم طلبوا ولا أمروا أن يطلبوه .

وثانياً : أن الآية معلقة ذلك على إتيانه - ﷺ - ، وإتيانه غير متأت بعد موته ! إذ لا يمكن إلا إتيان قبره ، ومن أتى القبر لا يقال أنه أتى صاحب القبر إلا على سبيل التسامح والتجاوز .
ثالثاً : هي واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها وقعت في حياته ﷺ ، فمن أين أخذوا التعميم في الحياة والممات ؟
ولو دلت على العموم في الحياة والممات لكانت مخصصة ومقصورة على الحياة ، ودليل التخصيص الأخبار الشرعية الدالة : أن الأموات لا يسمعون ولا يجيبون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] .
وفي الحديث الذي رواه مسلم (*) : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ، أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ » .

(*) حديث صحيح : أخرجه مسلم : كتاب الوصية : باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١) (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولأن الصحابة ومن بعدهم ما فهموا شمولها للموت ، ولذا لم يدعوه - ﷺ - ؛ ولم يأت إلينا أنهم دعوه بعد الموت كما قد أتى إلينا أنهم سألوه الدعاء في حياته - ﷺ - .

حديث القلب

تعلق القبوريون المبتدعون بحديث القلب ، أن الموتى يسمعون ، لأن النبي - ﷺ - أجاب عمر : « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » (*) وبحديث : « وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ الْآنَ قَرَعَ نَعَالِهِمْ - إِذْ أَتَاهُ الْمَلَكَانِ » (**).

فاحتجوا على سماع الأموات بهذين الحديثين . وإذا كانوا يسمعون : فيجيبون الداعين لهم ! والمستغيثين بهم ، فيقضون حوائجهم ، وينال المستغيث بغيته والطالب منهم ضالته . وقصده ، كما استدلوا بدينك الحديثين على نذب قراءة الأحياء على قبور الموتى .
والجواب : أن حديث القلب وقع معجزة لرسول الله - ﷺ - ،

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٠) من حديث عمر رضى الله عنه ، وأخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧٣ - ٢٨٧٥) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنهما .
(**) حديث صحيح : جزء من حديث أنس بن مالك الذى أخرجه البخاري : كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤) ، ومسلم كتاب الجنة باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه . (٢٨٧٠)(٧٠) .

وخوارق العادات لا يقاس عليها ، فكيف والله يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

وأما الحديث الثاني ، فالجواب : أنه مقيد بتلك الساعة التي سيأتيه الملكان ، وليس سماعه في كل وقت .

وإذا أردت هذا البحث لتروى غليلك وتشفى عليك فارجع إلى (رسالة الآيات البينات في عدم سماع الأموات للعلامة الألوسي رحمه الله) .

٦- وأما قولهم : لا فرق بين الأحياء والأموات في جواز التوسل والاستغاثة ، وما ثبت لأحد المثليين ثبت للآخر ، وقد ثبت حياة الأنبياء في قبورهم ، لأنهم أعلى مقاماً من الشهداء ، فجازت الاستغاثة والتوسل بهم وبالشهداء والأولياء -

فالجواب : أن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحاً ؛ لأن القرآن يقول : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

ويقول : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم : ٥٢] .

فسبحان الله الذي أعمى بصائر هؤلاء القبوريين الدجاجلة المضلين حتى سَوَّوا بين الأحياء والميتين !

بل قالوا : إن الأرواح بعد مفارقة الأجسام باقية وتتصرف

- التصرف التام ! .
 فعلى عقولهم العفاء والدمار ، فما أجهل هؤلاء وما أكفرهم ! فلو كانوا أحياء كما زعم هؤلاء لما جاز دفنهم وتقسيم أموالهم وتزوج نساؤهم - بالنسبة لغير الرسول - ﷺ .
 وأنا نرى الميت يهان ويوطأ ، وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه ، أترأه رضي لها الهوان ؟! ولا أظن أن سمع الناس أبطل من هذا الكلام ، وأفسد من هذا القياس .
 ٧- وقولهم : إن الأرواح تتصرف بعد مفارقة الأجسام لأنها حية : فكلام باطل .
 وأي تصرف لها ؟! وهل يلزم من حياتها أن تكون قادرة مجيبة للمستغيثين والسائلين ؟ !
 ولو جاز لنا أن نستغيث بهؤلاء لأنهم أحياء جاز لنا أن نستغيث بالملائكة الذين لا خلاف في حياتهم ، وبالحوار والولدان ، وبأرواح الكفار ، وبالجان ؛ لأنهم أحياء . سبحانه هذا بهتان عظيم ! لا يقول هذا إلا من سفه نفسه ، وتجرد من عقله اللهم اهدهم إلى صراط الحق ، والطريق المستقيم .
 ٨- وأما حديث : « إذا أعيتكم الأمور » فإنه مكذوب ومن وضع الزنادقة الذين قصدوا إفساد الدين .
 ٩- وحديث : « تَوَسَّلُوا بِجَاهِي » موضوع (*) لم يختلف (*) حديث لا أصل له : كما نص على ذلك شيخ الإسلام في كتابه =

في وضعه اثنان .

ولا ريب عند المسلمين جميعهم أن لرسول الله - ﷺ - جاهًا عظيمًا ومقامًا محمودًا ، وأنه أفضل الورى وخاتم الأنبياء والمرسلين ؛ ولكن هذا لا يسوغ لنا التوسل والاستغاثة به ؛ وإن كان الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ، لأن الحياة البرزخية لا تقاس بالحياة الدنيا (١) ؛ ولا تعطى

= العظيم « قاعدة جلية في التوسل والوسيلة » ووافقه على ذلك الألبانى في السلسلة الضعيفة برقم (٢٢) .

(١) وحيث أن كثيراً من ذوى البدع والضلال والدعاة إلى عبادة الأموات من الأنبياء والصالحين يشاغبون في حياة الأنبياء والشهداء ويزعمون أن حياتهم كالحياة الدنيوية ؛ يأكلون ويشربون وينكحون كسائر أهل الدنيا ؛ وبناءً على ذلك جوزوا الاستغاثة بهم في الشدائد والملمات ؛ بل وندبوا إلى ذلك وضللوا من ينهى عن الاستغاثة بالأموات ويجعلها شركاً برب العالمين .

ونحن نقول أنها حياة برزخية غيبية لا يعلم كنهها إلا الله . فلذا يجدر بى أن أذكر بعض كلام المفسرين الأجلاء في هذا الموضوع ، ونكتفى بأربعة من كبارهم ليتبين صحة قولنا وبطلان قولهم . وإلى القارئ بيان ذلك :

قال العلامة ابن جرير في تفسيره تحت قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

يعنى الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ، يقول الله : ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً لا يحسون شيئاً ، ولا يتلذذون ولا يتمتعون ، فإنهم أحياء عندى متنعون فى رزقى ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى ، وحيوتهم من جزيل ثوابى وعطائى .. ، ثم ساق أحاديث وآثاراً ؛ نحواً من =

أحكامها فإذا جاز أن نسأله - ﷺ - في حياته الدعاء بأن يطلب

عشرين حديثاً وأثر منها : عن مسروق بن الأجدع ، قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية - قال : أما إنا قد سألنا عنها فقليل لنا : « إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله إليهم اطلاعة ، فيقول : يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا - ثلاث مرات - ، فيطلع فيقول : يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ! الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ، ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى » . تفسير ابن جرير طبعة دار المعارف :

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسير الآية :

يخبر الله تعالى عن الشهداء : بأنهم وإن قتلوا فى هذه الدار فأرواحهم حية مرزوقة فى دار القرار .

ثم أورد ابن كثير كثيراً مما أورده ابن جرير ، ومنها ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش » - الحديث .

وقال العلامة ابن الجوزى فى تفسير قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤] - ذكر سبب النزول أنها فى شهداء أحد ، ثم قال : « أى لا تقولوا هم أموات ، لا تصل أرواحهم إلى الجنان ، ولاتنال من تحف الله ما لا يناله الأحياء ، بل هم أحياء أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ، فهم أحياء ، من هذه الناحية وإن كانوا =

لنا من الله قضاء حاجة أو غفران ذنب فلا يجوز بعد مماته أن

= أمواتا من جهة خروج الروح ١٠. هـ .

ولما استشعر اعتراضاً بأن جميع المؤمنين منعمون بعد موتهم فلم خصصتم الشهداء!؟ أجاب : « إن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة وماكلها ، وغيرهم منعمون بما دون ذلك » ١٠. هـ .

(من زاد المسير جـ ١ سورة البقرة ص ١٦١ طبعة المكتب الإسلامي) .

وقال العلامة القاسمي في تفسيره ، نقلاً عن البيضاوي وحواشيه : « إن إثبات الحياة للشهداء في زمان بطلان الجسد وفساد البنية ونفى الشعور بها ، دليل على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان ، لأنها بمسحة البنية واعتدال المزاج ، وإنما هي أمر يدرك بالوحى لا بالمقل » ١٠. هـ . (من « محاسن التأويل » جـ ٢ - طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

تأمل كلام ابن جرير وقوله : « إنهم أحياء عندى متنعمون في رزقي » .

كلام ابن الجوزي : « فهم أحياء من هذه الناحية - أى من ناحية أرواحهم في حواصل طير خضر - وإن كانوا أمواتا من جهة خروج الروح » .

وكلام ابن كثير إذ يقول : « إنهم وإن قتلوا في هذه الدار فأرواحهم حية مرزوقة في دار القرار » .

وكلام البيضاوي : « إن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس حياة الحيوان » . فإذا أحطت علمك بذلك تبين لك أن ما ذهب إليه أهل التخریف - إن حياتهم من جنس حياتنا يأكلون ويشربون وينكحون - اعتقاد فاسد ياباه كل ذى عقل سليم فضلاً عما تولى بالعلم والمقيدة الصحيحة .

وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤] وفي سورة آل عمران : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] كاف في بطلان ما ذهب إليه المبتدعة في إثبات الحياة لهم كالحياة الدنيوية . =

نسأله قياساً على حياته الدنيوية .

= على أنه قد فسر بعضهم تلك الحياة بحياة الذكر الجميل والثناء الجليل وقيل: إن المراد بالموت والحياة الضلال والهدى ، أى لا تقولوا هم أموات فى الدنيا ضالون عن الصراط المستقيم ، بل هم أحياء بالطاعة قائمون بأعبائها . وقيل غير ذلك (١) .

ولكن خير تفسير لحياتهم ما فسرهُ رسول الله - ﷺ - كما سبق فى الحديثين السابقين ، وكما سبق فى كلام المفسرين .
والخلاصة : أن حياة الشهداء والأنبياء من باب أولى حياة غيبية برزخية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه . ولكل دار حكم . فلما خرجوا من الدنيا لا يجوز لنا أن نطبق عليهم الأحكام الدنيوية .
قال الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني فى منظومته * هداية

المريد * :
والشهداء وأنبياء الله فإنهم أحياء عند الله
وما لهم حكم الحياة عندنا لكونهم قد فارقوا دار الفنا
ومن يقل حياتهم لا تنقطع فذاك كذاب مرمد مبتدع
قد كذب القرآن (٢) والرسولا وخالف المعقول والمنقولا

(١) ولو ذهبنا ننقل كلام المفسرين فى هذا الموضوع لصار يتطلب مجلدًا ضخمًا ، ونحن قصدنا الإيجاز ، وفيما نقلناه كفاية ، ونبين به أن ما ذهب إليه أهل الضلال هو من أكبر البدع والضلال .

(٢) ويشير إلى الآية : ﴿ إلك ميت وإلهم ميتون * لم إنكم يوم القيامة عدد ربيكم تختصمون ﴾ [الزمر : ٣٠ ، ٣١] .

وقوله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل إنا مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وأين هؤلاء من الآيات القرآنية التي تنادى بأن ليس لغير الله أمر أو تصرف ، أو قدرة في دفع ضرر ، أو جلب نفع ، سواء أكان نبياً أم غيره ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَقْرَأْتُمْ مَا تُدْعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ لِيَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ * قُلْ إِنْ لِيَ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الحج : ٢١ ، ٢٢] .
وقوله : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ . وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْفُرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الخطاب للرسول - ﷺ - مبيناً أن الذي بيده النفع والضرر هو الله وحده لا غير ، وأن المعبودات من دون الله لا تغني شيئاً ، وأن الرسول - ﷺ - مع أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، فضلاً عن غيره .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال لما نزلت آية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] :
يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ .

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ .
يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ .
يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ .
يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ .
فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (٥٠) .

وفي رواية : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ سَلِّينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُ ، لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » .

وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥] ، أي نخلصك بالعبادة ولا نعبد سواك ، ونستعين بك في أمور الدنيا

(*) حديث صحيح : أما الرواية الأولى بهذا اللفظ فهي عند الترمذي :

كتاب التفسير : باب ومن سورة الشعراء (٣١٨٤) .

وأما الرواية الثانية فهي عند البخاري : كتاب التفسير من سورة الشعراء : باب

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤٧٧١) . ومسلم : كتاب الإيمان : باب قوله

تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢٠٦) (٣٥١) .

والدين ، ولا نستعين بأحد غيرك .
 وحديث : (*) « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ » (١) .

لو تدبر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمة المحققين على تلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ، شروح الأجلاء المعتبرين :
 لعلوا أن توسلاتهم بالرسول ، أو الأنبياء والصالحين ؛ ليس لها أصل في الدين .
 وأن الاستغاثة بهم من الشرك والكفر المبين .

* * *

٣- توحيد الأسماء والصفات :

وهو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً أن ما أخبر به الله في كتابه ، من أوصافه العليا وأسمائه الحسنى ، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته ، هي كما تليق بجلال الله وعظمته وكبريائه . فمن تلك الصفات :
صفة الحياة له - جل جلاله - كما قال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(*) حديث صحيح : تقديم تخريجه .

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس ، الذي أوله : قال : كنت خلف النبي يوماً ، فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك... إلخ . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

- الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ [البقرة : ٢٥٥ ، وآل عمران : ٢] .
وصفة العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ
عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .
وقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
[الملك : ١٤] .
وصفة الإرادة ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .
والقدرة . لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾
[الفتح : ٢١] .
والسمع والبصر ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
[النساء : ١٣٤] .
والكلام ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾
[النساء : ١٦٤] ، وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾
[الأعراف : ١٤٣]
والرحمة ، لقوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .
وصفة الحب ، لقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤]
واليدين ، لقوله تعالى : ﴿ لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .
والوجه ، لقوله : ﴿ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾
[الرحمن : ٢٧] .
والاستواء على العرش ، لقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

استوى ﴿ في سبع آيات من القرآن .
 والنزول ، للحديث الصحيح : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى
 السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَنَادِي : هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مِنْ
 سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ » (*) .
 إلى غير ذلك من الصفات التي لا نستطيع حصرها في
 عشرين صفة ، وحصرها في عشرين من مبتدعات الخلف . بل
 ولا حصرها في أكثر من عشرين ، إنما الواجب الإيمان بكل
 ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله وأسمائه ،
 إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل .
 والقول الشامل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به
 نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ،
 لا يتجاوز القرآن والحديث .
 فمذهب السلف حق بين باطلين ، بين باطل التمثيل وباطل
 التعطيل .

(*) حديث صحيح : أخرجه البخاري : كتاب التهجد : باب الدعاء والصلاة
 من آخر الليل (١١٤٥) ومسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب في
 الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨) (١٦) من حديث أبي هريرة
 رضي الله عنه .
 وقد أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث بالشرح في كتابه العظيم
 « شرح حديث النزول » فراجع فإنه هام

فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إله الأرض والسماء (١) .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .
فصدر الآية تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ، ورد على المشبه ،
وأخر الآية إثبات صفتي السمع والبصر ، في قوله : ﴿ وهو
السميع البصير ﴾ ورد على المعطلة .

فالسلف الصالح لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه . كما
لا يمثلون ذاته بذات خلقه .

فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن
ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين فصفاته لا تشبه صفات
المخلوقين .

فإذا قلنا : لله علم وللمخلوق علم ، كما قال في كتابه المجيد
: ﴿ وَهُوَ يَكْلُ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩ ، والأنعام : ١٠١ ، والحديد :
٣ ، وقال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك :
١٤] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] .

(١) ورحم الله ابن القيم حيث قال :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| من شبه الله العظيم بخلقه | فهو النسيب لمشرك نصراني |
| أو عطل الرحمن عن أوصافه | فهو الكفور وليس ذا إيمان |

وقال عن نبيه يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] .

فلا شك أن ليس علم الله كعلم يوسف أو إسحاق عليهما السلام !

ووصف نفسه بالرفقة والرحمة ، فقال : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] . وقال : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

وقال في حق الرسول - ﷺ - : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فليست رحمة الله كرحمة المخلوق ، ولا رأفته كرفقة المخلوق .
ووصف نفسه بالسميع والبصر في غير ما آية من كتابه ؛
فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ، وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال في حق المخلوق : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] .
ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق .

فلله سمع وبصر حقيقيان لا ثقان لجلاله وكماله .

كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقيين مناسبين لحاله من فقره وفنائه .

وبين سمع وبصر الخالق ، وسمع وبصر المخلوق ، كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .
 ووصف نفسه بالحياة ، فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥ ، وآل عمران : ٢] ، وقال : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر : ٦٥] .
 ووصف بعض المخلوقين بالحياة فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .
 وقال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .

فليست حياة الخالق كحياة المخلوق .
 وقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .
 وقال في حق المخلوق : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ [هود : ٤٤] .
 فليس استواؤه كاستواء السفينة على الجودي .
 والحاصل أننا لا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نؤول صفات الله الواردة في الوحيين بتأويلات الجهمية والمعتزلة القائلين أن اليد بمعنى النعمة ، والاستواء بمعنى الاستيلاء ^(١) ، والوجه

(١) احتجوا على ذلك بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

بمعنى الذات ، والرحمة بمعنى التفضل ، ونزوله بمعنى نزول أمره أو رحمته أو ملائكته - وما أشبه ذلك من التأويلات الفاسدة ، النابعة من منابع الفلاسفة الضالين .

تلك التأويلات التي تؤول بالإنسان إلى الكفر ، وتجعل الشريعة ألعوبة بأيدي المبطلين والهدامين ؛ بحيث أنه لا يريد مبطل أن يهدم عقيدة أو حكماً شرعياً إلا وقد أتى من باب التأويل . وكفى بهذا قبحاً وضلالاً .

وعلى اعتقاد ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه رسوله بما أتى في القرآن ، والأحاديث الصحيحة ، من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل : مضى عصر الرسول والصحابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة المعترين ، كالإمام أبي حنيفة ، والإمام

=والجواب : أن هذا البيت أولاً مصنوع لا يحجج به .

وثانياً : إن قالوا : استيلاء الله كاستيلاء بشر على العراق ، فهذا هو التشبيه بعينه ! وإن قالوا : استيلاء الله يخصه على ما يليق به ، واستيلاء بشر كذلك . فهلا أبقوا اللفظ القرآني ، وقالوا : استواء يليق بجلاله !؟ ولا مفر لهم من أحد هذين الأمرين .

انظر بحث : « الاستواء في العلو » للذهبي ، وفي « الجيوش الإسلامية » لابن القيم ، وفي كتابي « العقائد السلفية » ، فقد أتيت في بحث الاستواء بما لا مزيد بعده ، وفندت شبههم العقلية والنقلية والحمد لله على ذلك .

الشافعي ، والإمام مالك ، والإمام أحمد بن حنبل ، والبخاري ،
ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وأبي داود ، والثوري ، وابن
عبينه ، وغيرهم من المحدثين والفقهاء المعتبرين ، والصوفية
المحققين ، كالجنيد والجيلاني وأبي نعيم ، واللغويين المحققين ،
كالخليل بن أحمد ، وثعلب ، وغيرهما .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ونسأل الله أن ينفعنا
وينفع إخواننا المسلمين بهذه الرسالة ، إنه سميع مجيب الدعاء ،
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٣ | * مقدمة الطبعة العاشرة |
| ٥ | * مقدمة التحقيق |
| ٧ | * خطبة الكتاب |
| | * أقسام التوحيد |
| ١٥ | ١ - توحيد الربوبية |
| ٢٠ | ٢ - توحيد الألوهية |
| ٢٣ | * تفسير العبادة |
| ٣١ | * أنواع العبادة وأدلتها |
| ٤٤ | * الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وجهل الكثيرين به |
| ٤٥ | * معنى لا إله إلا الله |
| ٤٧ | * نواقض الإسلام |
| ٤٩ | * معنى محمد رسول الله |
| ٥٣ | * من صيغ الصلاة على رسول الله |
| ٥٥ | * شبهة للقبورين و ردها |
| ٥٨ | * لا وساطة بين الخالق والمخلوق إلا في تبليغ الشرائع |
| ٦٠ | * عدم ثبوت التوسل عن النبي ﷺ وأصحابه |
| ٦٨ | * إثبات الشفاعة للرسول ﷺ |
| ٦٩ | * حجج المبتدعة في جواز التوسل والاستغاثة |
| ٧١ | * الرد على حجج المبتدعين وتفنيدها |
| ٨٤ | * ٣ - توحيد الأسماء والصفات |
| ٩٢ | * الفهرس |

صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فناوى العفيدة

أسئلة هامة ملحة وأجوبة نافذة في العقيدة الصحيحة

العقيدة الصحيحة هي جوهر الإسلام وليها
وهي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع المسلم

لفضيلة الشيخ
محمّد بن صالح بن عثيمين
عضو هيئة كبار العلماء والامام في بلادنا العربية



مكتبة السنة
الطبعة الثانية من طبعات دار النشر

دار تراثية للنشر والتوزيع والعتبات والبيوتات العلمية وتصدرها مستر دكتور
الطبعة ١ : ٨١٠ صفحة - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ - ٣٩٠٠
فأكدت : ٢٩٢٦٢٥٠ - فاكس : ١٩٦١٧١٩ - TLTRB UN٩١٧١٩ - ٣٠٠٥٠٠ ١٤٨٩ القاهرة

الكبرياء

"2V2A-7V3"

أبو عبد الرحمن السلفي

دارتاریه للنشر والنزاع والطباعة والبحوث العلمیة وتصدير واستيراد الكتب
القاهرة ١٠ شارع البستان، صامیه شارع، کمدیة ٣٠، مایری - تلخیص ٣٩٠٠٣١٨
فاکس ٢٩٤٦٩٥٠ - تلخیص ١٩٦٩٧١٩ UNCTAD - ص ٣٠ ١٩٨٩ القاهرة

عَفِيَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين
مدرسة كبرياء العلماء
ومؤسساؤا بكلية الشريعة

عناية وتخریج

سیدنا محمد بن عبد الجبار



مكتبة السنة
دار الشريعة والعلوم

دار تراث النشر والنوع والعتبات والعلوم وتصديره سیدنا محمد بن عبد الجبار
الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - الطبعة الثانية: ١٤١٨ هـ - الطبعة الثالثة: ١٤٢٩ هـ
فأكدت: ٧٩٩٦٩٥٠ - فاكس: ٧٩٩٦٩٥٠ - تليفون: ٧٩٩٦٩٥٠ - ص.ب. ١٤٨٩ القاهرة

صَلَاةٌ... مِنْ مُلْشَوْرَاتِنَا

تَصَحُّحٌ عَقِيدَةٌ الْمُسْلِمِينَ « ١ »

الطَّيْبَةُ وَالتَّطْبِيرُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

“لَا عُدْوَى وَلَا طَيْبَةَ”
عبد بن عبد

سألف
الدكتورة بسام بنت عبد الله داوي

مِلْشَوْرَاتُ كِتَابِ السُّنَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

رقم الإيداع : ٩٨ / ١٧٣٠٦
طبع بدار نوبار للطباعة